

مسائل الخلاف النحوي

منى أحمد مزهر

إشراف الاستاذ الدكتور مصطفى كاظم شغيدل

كلية الآداب جامعة بغداد

كان للتنافس بين علماء النحو أثراً بارزاً أدى بهم إلى الاختلاف والجدل في مسائل العلم المختلفة ، وكانت نتيجة لهذا الاختلاف ، الاختلاف في المسائل النحوية بين النحاة ، فقد شهد تأريخ النحو العربي كثيراً من المناظرات التي كانت سبباً للمنافسة ، محاولة منهم أثبات مقدرتهم العلمية وتقوهم على غيرهم مهما كانت الدوافع التي تختلف من نحوي إلى آخر ؛ لذلك كثرت مسائل الخلاف .

The second section – issues of disagreement

Summary : □

The competition between grammarians had a prominent impact that led them to disagreement and debate on various issues of science , and as a result of this disagreement , there was disagreement on grammatical issues between grammarians , the history of Arabic grammar witnessed many debates that were a cause of competition , in an attempt by them to prove their scientific ability and superiority over others whatever the motives it varies from one grammar to another; therefore matters of disagreement abounded .

لا يوجد باب من أبواب النحو إلا وقع فيه خلاف بين المدرستين (البصرة والكوفة) ، منها ما وقع الخلاف فيه في أصل الباب ، ومنها ما وقع فيه الخلاف في مسائل جزئية فيه (١) . فلبصريين منهج ولكوفيين منهج ومن المتوقع في أعلام كل مدرسة التزام ما انتهجت ، ولكننا نجد ظاهرة عدم الالتزام حتى بين أعلام من نحاة المدرستين ، فكانت أكثر مسائل الخلاف بينهما نجد فيها (قال البصريون إلا فلاناً وفلاناً) ، (وذهب الكوفيون إلا فلاناً إلى كذا) فكان الكثير من المسائل فيها الأخص مع الكوفيين ، ومسائل أخرى فيها الكسائي زعيم المدرسة الكوفية مع البصريين . ونجد الفراء يؤيد في مسألة ما نحاة البصرة ، والمبرد ويؤيد في مسألة أخرى نحاة الكوفة (٢) ثم أخذ هذا الخلاف ينمو ويتطور بنمو الدراسات النحوية وتطورها ، وأخذت عوامله بالتوسع والازدياد وبعد أن بدأت مدرسة الكوفة تبرز إلى الوجود مذهباً نحويّاً له أسسه وأصوله ، وبدا الخلاف واضحاً وأصبح الخلاف في مسائله أكثر تشعباً وتعقيداً فكان أشهر خلاف وقع بين سيوييه والكسائي ، الذي عُرف بـ (المسألة الزمبورية) ، فقد صور لنا طبيعة الخلاف في ذلك الوقت (٣) فقد كان لتفاوت النحويين في موقفهم من السماع ، والقياس أثر كبير في إيجاد الخلاف بينهم بل إن هذا الأمر يعد السبب الرئيس في الخلاف بين البصريين ، والكوفيين في النحو (٤) . وبعد ذلك أخذت بوادر الخلاف النحوي بين المدرستين تأخذ شكلاً ومنحى آخرين في مدينة بغداد ، فقد تصدى المبرد لزعامة الدرس النحوي البصري فيها ، وتصدى ثعلب لزعامة الدرس النحوي الكوفي ، وقد أخذ هذا الخلاف النحوي بينهما أسلوباً تنافسياً شديداً بمرور الوقت ، فكانت المفاضلة بين تلاميذهم والدفاع عن المذهب الذي ينتمي إليه كل منهما (٥) ومن هذه المسائل (المسائل الخلافية في الفضلات من منصوبات الأسماء) (٦) ، فقد ذكر الباحث (عقيل رحيم علي) ، أن النحويين لم يتكلموا عن الفضلة في باب واحد ، أو فصل خاص بها ؛ فقد يشيرون إليها بإشارات سريعة تأتي في شروحهم ، أو في كلامهم على حذف بعض الموضوعات النحوية ، ويذكر من تلك الإشارات السريعة ، أن للنحويين في الفضلة تعريفات ثلاثة :-

- الأول : « عبارة عما زاد على زكني الإسناد كالمفعول ، والحال ، والتمييز » (٧) .

- الثاني : « أنها ما جاء بعده تمام الكلام » (٨) .

- الثالث : « أنها ما يمكن الاستغناء عنه في الكلام » (٩) .

ويفهم من كلام قسم من النحويين أن الاستغناء عن الفضلة في هذا التعريف المراد منه ، الاستغناء عنها من حيث صحة المعنى وقيام المقصود من الكلام ؛ لأنهم ذكروا أن الفضلة قد يجوز الاستغناء عنها لتوقف معنى الكلام عليها (١٠) ومن المسائل الخلافية في الفضلات ، الخلاف في نصب المفعول به أنه منصوب بالفاعل وهذا رأي هشام بن معاوية (١١) ، وقد ذكر أن « الفاعل لا تأثير له في العمل ؛ لأنه أسم والأصل في الأسماء أن لا تعمل وهو باقٍ على أصله في الاسمية » (١٢) وكان رأي الكوفيين أنه انتصب على معنى المفعولية (١٣) أما رأي الفراء فأن الفعل والفاعل قد اشتركا في نصب المفعول به ، والحجة في ذلك أن الفعل والفاعل بمنزلة كلمة واحدة ، فلا يعمل بعض الكلمة دون بعضها الآخر (١٤) وقد رَدَّ هذا المذهب وهو أنه يجوز الفصل بين الفعل والفاعل ، وذلك نحو : « ولقد جاء آل فرعون النذر » (١٥) ومن المسائل الخلافية أيضاً ، اختلاف النحويين في ناصب المفعول معه ، فكانت آراؤهم ، ومذاهبهم في ذلك أنه منصوب بما تقدمه من فعل أو شبهه بتوسط الواو وهذا مذهب جمهور البصريين وحجتهم فيما ذهبوا إليه أن الأصل في نحو قولهم : استوى الماء والخشبة ، أي استوى الماء مع الخشبة ، فلما أقاموا الواو مقام مع قوَيَّ الفعل بالواو فتعدى إلى الاسم بعدها فنصبه ، كما تعدى بالهمزة نحو : أخرجتُ زيداً ، وبالتضعيف في نحو : ضربتُ زيداً ، وبحرف الجر في نحو : خرجتُ بزيد (١٦) وقد كثرت الخلافات في ناصب المفعول معه ، فقد ذهب الأخفش إلى أنه

منتصب انتصاب الظرف , وأن الواو قد هيأت له الظرفية , وأن ما ذهب إليه الأخفش هنا أن المفعول معه منتصب انتصاب الظرفية , وهو مذهب جماعة من الكوفيين أيضاً^(١٧) وقد رُذِّ هذا المذهب بأن مع ظرف والمفعول معه في نحو : (قمتُ وزيداً) , و (استوى الماء والخشبة) , فلا يجوز أن يكون منصوباً على الظرف^(١٨) , ولو كان المفعول معه انتصاب الظرف لجاز النصب في كل واو بمعنى مع , ومن ذلك جواز نصب الأسم في قولهم : كل رجلٍ وضيعته , وهو ممتنع لأن الواو فيه غير مسبوقه بجملة^(١٩) أما الزجاج فقد ذهب إلى أنه ينتصب بفعل مضمر بعد الواو , فأذا قيل : سرتُ والليل , فهو لم يجعل ناصبه الفعل الظاهر فالتقدير على مذهبه : ((أن الفعل لا يعمل في المفعول وبينهما الواو))^(٢٠) وقد رُذِّ هذا المذهب وقد وصف ما احتج به الزجاج بأنه باطل^(٢١) . أما مذهب الكوفيين فإنه منصوب على الخلاف^(٢٢) , وحجتهم في ذلك إنه إذا قيل : استوى الماء والخشبة , فإنه لا يحسن تكرار الفعل مع الأسم المنصوب على المعية , فيقال : استوى الماء واستوتت الخشبة وهذا المذهب لم يجد قبولاً عند كثير من النحويين فقد رده أبو البركات الأنباري وقال عنه : ((إنه مذهب مردود بالعطف الذي يخالف بين المعنيين نحو : ما قام زيدٌ لكن عمرو , ويقوم زيدٌ وعمرو , فما بعد لكن ولا , فخالف لما قبلها ولم يلزم نصبه ; ودليل ذلك أن الخلاف لا يكون موجِباً للنصب^(٢٣) وقد وصفه ابن يعيش بأنه مذهب ضعيف جداً ; ((لأنه لو جاز نصب الثاني لأنه مخالف للأول لجاز نصب الأول أيضاً ; لأنه مخالف للثاني لأن الثاني إذا خالف الأول فقد خالف الأول والثاني , فليس نصب الثاني للمخالفة أولى من نصب الأول^(٢٤) وقد ذهب عبدالقادر الجرجاني إلى أنه منصوب بالواو نفسها وحجته أن الواو التي بمعنى مع قد أختصت بالدخول على الأسم فعملت فيه النصب^(٢٥) وقد ردَّ النحويين هذا المذهب أيضاً فقالوا : أن الواو لو كانت عاملة في المفعول معه لأتصل الضمير بها كما يتصل بأن وإخواتها^(٢٦) أما الباحث (سلام موجد خلخال) , فقد ذكر في رسالته (مسائل الخلاف في الأدوات والحروف) , أنها لم تكن في كتاب محدد , ولا مقصوراً على حقبة زمنية دون غيرها , وكذلك التداخل الذي يكتنف بعض مسائله ربما كان للأداة الواحدة أكثر من خلاف فقد عرف الباحث الحرف لغةً : ((هو طرف الشيء أو حده))^(٢٧) . أما في اصطلاح النحويين فهو : ((ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل))^(٢٨) أما الأداة لغةً فهي : ((الآلة الصغيرة تستخدم للربط بين أجزاء الكلام , أو الدلالة على معنى غيرها كالتعريف في الاسم , أو الاستقبال في الفعل وربما كان المقصود بها المقابل للأسم والفعل))^(٢٩) وقد أطلق المتأخرون مصطلح (أدوات) , على أبواب نحوية عامة كالشرط والاستفهام^(٣٠) . قال الرضي أما الجزاء فالغرض تأخره عنها – أي أداة الاستفهام – لم يجز عمله فيها سواء كانت الأداة ظرفاً , مثل متى وأين أو من وما^(٣١) وقال ابن هشام : ((وأما ما يجزم فعلين فهو إحدى عشرة أداة))^(٣٢) . وقد عرف الدكتور أبو السعود الشاذلي فقال : ((الأداة كلمة تؤدي وظيفة نحوية عامة وهذه الوظيفة تتضح بالتعبير عن المعنى النحوي العام للجمل والأساليب))^(٣٣) وقد فرق الدكتور هادي نهر بين الأداة والحرف تفريقاً على أساس العمل الإعرابي , حيث قال : ((أن حروف المعاني نوعان : احدهما لا يعمل وهو مهمل كحروف الاستفهام والجواب , والتعريف والآخر يمنح الاسم أو الفعل حركة معينة ولا يمكن أن نسميه اصطلاحاً أداة))^(٣٤) إذن توجد كثير من الأدوات بنيتها واحدة , ولكن معانيها متعددة مثل (مَنْ) تستخدم اسم استفهام نحو : من جاء ؟ وترد أيضاً اسم شرط نحو : من يجتهد ينجح , وكذلك اسم موصول نحو : حضر من تحب . لذلك تتعدد الوظائف للمبنى الواحد وهو ما يجعل العلاقات تتشابه بين المعطيات الصرفية والنحوية , ويقضي التفرقة بينهما على الفهم الدقيق لأساليب اللغة العربية^(٣٥) . ولذلك جاء تفرقة الدكتور هادي نهر ما بين الأداة والحرف على أساس العمل الإعرابي لهذا الغرض أما اطلاق مصطلح حروف الشرط مثلاً على باب الشرط , على الرغم من أنه يضم حروفاً وأسماء فيمكن أن يرد إلى أمرين :-

- الأول : أسماء الشرط (من وما) تؤدي ما يؤديه الحرف في الجملة من معنى .
- الثاني : أن لفظ الحروف يطلق أحياناً ويراد به الكلمة اسماً كانت أم فعلاً , أم حرفاً وقد أظهرت الدراسات اللغوية طائفة من المسائل الخلافية في الأدوات قد توزعت على أبواب النحو العربي , ومن هذه المسائل الخلاف في الأدوات والحروف من حيث البساطة والتركيب (الخلاف في بلى) , فقد كان مذهب الفراء وأبي البقاء العكبري والكوفيين , أن (بلى) حرف مركب من (بل) زيدت عليه ألف وقد جاء ذلك في معاني القرآن : ((فارادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقروا بما بعده فاختراروا (بلى) ؛ لأن أصلها رجوعاً محضاً من الجحد إذا قالوا مال قال عبدالله بل زيد , فكانت (بل) كلمة عطف , والرجوع لا يصح الوقف عليها فزادوا فيها ألفاً يصلح فيها الوقوف عليه))^(٣٦) وقد أيد ابن فارس الفراء في ذلك فقال : (أما خرج زيد ؟) , فنقول : بلى , فهي رجوع عن الجحد والألف دلالة كلام كأنك قلت : بل خرج زيد^(٣٧) . وقد ردَّ الرضي مذهب الفراء المتقدم , إذ قال : ((والصحيح الإفراد ولا موجب للمخالفة^(٣٨) أما أبو حيان فقد قال : ((وأما بلى فهو حرف ثلاثي مرتجل والألف من سنح الكلمة وليس أصلها (بل) التي للعطف , فدخلت الألف للإيجاب , أو الإضراب , أو الرد))^(٣٩) . وقد صرح ببساطتها وواقفه في

ذلك المرادي , وابن هشام , والسيوطي^(٤٠) ومن مسائل الخلاف التي ذكرها الباحث , الخلاف في (إذن) أهي الناصبة أم (أن) مقدره بعدها , فكان رأي سيبويه أن الناصب إذن بنفسها وهو ما حكاه عن الخليل^(٤١) ومن المسائل الخلافية في منصوبات الأسماء , الخلاف في اسم (لا) النافية للجنس , مثني كان أم جمعاً بسلامة , فقد اختلف العلماء في اسم (لا) التي لنفي الجنس , إذا كان مثني , أو مجموعاً جمع سلامة وفصل بينه وبين الخبر بفاصل نحو : ((لا يدي بها لك)) , في ترك النون وإثباتها في يدي , فذهب الخليل إلى إثبات النون فنقول : ((لا يدين بها لك)) . إلا في الضرورة فكان رأي سيبويه أن الفصل في هذا الموضوع قبيح , سواء أكان بما يستغنى عنه أم بما لا يستغنى عنه^(٤٢) وقد أخذ بعض الباحثين أنه لم يسمع عن العرب ولم يشافهمهم , وإنما اكتفى بالسماع عن شيوخه والنقل عنهم^(٤٣) , والحق أن الناظر في الكتاب يقع على نصوص كثيرة ماثوثة في ثناياه من رواية سيبويه شيوخه عن العرب , وهناك نصوص أخرى كثيرة جداً يرويها سيبويه عن نفسه عن العرب مباشرة , ما يعني أن له مصدرين في السماع كان يستقي مادته منهما هما أولاً السماع المباشر عن العرب , وثانياً : السماع غير المباشر وهو ما نقله عن شيوخه الذين سمعوا كلام العرب وبلغوا في العلم منازل عالية , فكان له بذلك فضل الجمع بين علومهم وعلمه فروى ذلك وجمعه في كتابه ليكون له فضل كتابه (الكتاب)^(٤٤) وكان للمعنى أثر في كثير من مسائل الخلاف أيضاً فقد كان يحسم الخلاف فيها ؛ بالرجوع إلى المعنى , ودقة التعبير لتوضيح الغرض المراد بالجملة في مسألة من المسائل الخلافية التي كان يريد أن يوضحها نحو قولنا : (لا غلامي عندك لزيد) , غير قولنا (لا غلامي عندك) لأن المعنى في كل منهما تام وهذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه وقد ذهب يونس من أن أحدهما يتم المعنى والآخر لا يتمه^(٤٥) .

الذاتة

- كان لتفاوت النحويين في موقفهم من السماع والقياس أثر في إيجاد الخلاف بينهم وأن هذا الأمر كان السبب الرئيس في الخلاف بين البصريين والكوفيين .
- أخذ الخلاف النحوي ما بين المدرستين (البصرة والكوفة) أسلوباً تنافسياً بمرور الوقت مما أدى إلى المفاضلة بين تلاميذهم والدفاع عن كل مذهب ينتمي إليه .
- كانت نتيجة الاختلاف بين علماء المدرستين (البصرة والكوفة) في المسائل النحوية أثر بارز أدى بهم إلى الجدل في مسائل العلم المختلفة - أن وجود الخلاف في النحو لا يعني ذلك عدم الاتفاق في وضع القواعد لهذا العلم .
- أن نشأة النحو والخلاف في مسأله لم يكن وليد لحظة معينة , بل كانت بدايته عبارة عن شذرات تناقلها الرواة والمحدثون تناثرت بين كتب التراجم والفهارس والتاريخ , وقف عليها دارسو تاريخ نشأة النحو .

الهوامش

- ١- ينظر الخلاف بين النحويين : ١٩٥
- ٢- ينظر المصدر نفسه : ٢٠٠
- ٣- ينظر المسائل الخلافية في الفضلات من منصوبات الأسماء (رسالة) : ٦
- ٤- ينظر المصدر نفسه : ٦ - ٧
- ٥- ينظر الدرس النحوي في بغداد ٢٢٥
- ٦- ينظر المسائل الخلافية في الفضلات والأسماء (رسالة) : ٩
- ٧- شرح عمدة الحافظ ٤١٧
- ٨- شرح المفصل : ٢ / ٥٥
- ٩- ينظر شرح الزجاجي : ١ / ١٠٣ , وينظر شرح ابن عقيل : ١ / ٤٠٣
- ١٠- ينظر أنباه الرواة : ٣ / ٣٦٤
- ١١- الإنصاف , م (٢١٧) : ١ / ٨٠ , وينظر همع الهوامع : ٣ / ٧
- ١٢- ينظر المصدر نفسه (م ١١) : ١ / ٧٩
- ١٣- المصدر نفسه : ١ / ٧٩
- ١٤- همع الهوامع : ٣ / ٧

- ١٦- ينظر الإنصاف : ١ / ٢٤٨
- ١٧- ينظر ارتشاف الضرب : ٢ / ٢٧٦
- ١٨- ينظر الإنصاف : ١ / ٢٤٩ , وشرح المفصل : ٢٢٢
- ١٩- ينظر شرح الرضي : ٣١٦
- ٢٠- الإنصاف : ١ / ٢٤٨ , وينظر همع الهوامع : ٣ / ٢٣٩
- ٢١- الإنصاف : ١ / ٢٤٩
- ٢٢- ينظر المصدر نفسه : ١ / ٢٤٩
- ٢٣- ينظر الإنصاف : ١ / ٢٥٠ , وينظر المسائل الخلافية في الفضلات من منصوبات الأسماء (رسالة ماجستير) : ٩١
- ٢٤- شرح المفصل : ٢ / ٤٩
- ٢٥- ينظر العوامل المائة : ٢٣١
- ٢٦- ينظر شرح للمحة البدرية : ٢ / ١٥٧ , شرح ابن عقيل : ١ / ٥٩٠
- ٢٧- ينظر لسان العرب : ٩ / ٤١
- ٢٨- الكتاب : ١ / ٢
- ٢٩- ينظر تاج العروس : ٢٣ / ٢٩
- ٣٠- ينظر دراسات في الأدوات النحوية : ١٢
- ٣١- شرح الرضي على الكافية : ٢ / ٩٩
- ٣٢- شرح قطر الندى وبل الصدى : ٢٤٧
- ٣٣- الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية : ٤٧
- ٣٤- الحروف والأصوات العربية في مباحث القدامى والمحدثين (بحث) ٢١٥
- ٣٥- الأدوات النحوية - بنيتها ووظيفتها - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- ٣٦- المسائل الخلافية في الأدوات والحروف (رسالة) : ٦
- ٣٧- ينظر معاني القراء : ١ / ٥٢
- ٣٨- جواهر الأدب ٢٣٨
- ٣٩- الارتشاف : ٢ / ٢٦١
- ٤٠- الجنى الداني : ٤٢٠ , ومغني اللبيب : ١٢١
- ٤١- ينظر الكتاب : ١ / ٣٨٠
- ٤٢- ينظر الكتاب : ١ / ٣٤٧
- ٤٣- ينظر سيبويه جامع النحو : ٢٢
- ٤٤- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٤٨
- ٤٥- ينظر الكتاب : ١ / ٣٤٧ , وينظر المسائل الخلافية في كتاب سيبويه (رسالة) : ٥٦

المصادر والمراجع - القرآن الكريم

- الخلاف بين النحويين , السيد رزق الطويل , الطبعة الأولى , دار النشر المكتبة الفيصلية ١٩٤٨
- درس النحوي في بغداد , الدكتور مهدي المخزومي - مكتبة لسان العرب الناشر : وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٤
- شرح عمدة الحفاظ لابن مالك رقم الطبعة (١) بلد النشر العراق
- شرح المفصل , يعيش بن علي يعيش , الناشر : إدارة الطباعة المنيرية ٢٠٠٧

- شرح الزجاجي , لأبن عصفور الأشبيلي , الناشر : دار الكتب العلمية ٢٠٠٩
- شرح ابن عقيل : ابن عقيل عبدالله بن الرحمن - دار الكتب العلمية المحقق : محمد محي الدين عبدالحميد ١٩٨٠
- شرح الرضي , محمد بن الحسن الاستريادي , المحقق : حسن بن محمد بن إبراهيم ١٩٩٣
- شرح الأشموني , علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن الأشموني , الناشر : دار الكتب العربية - بيروت
- همع الهوامع المؤلف عبدالرحمن السيوطي جلال الدين المحقق : عبدالحميد هنداوي , الناشر : المكتبة التوفيقية - مصر
- الإنصاف في مسائل الخلاف , كمال الدين أبي البركات الأنباري , تأليف محمد محي الدين عبدالحميد , دار الفكر
- ائتلاف النصره , عبداللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي , بلد النشر بيروت , دار النشر : عالم الكتب